٩ - الثورة المصرية ١٩١٩

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

وحشية الانجليز :

فقد الانجليز كل معنى من معانى الإنسانية وانقلبوا وحوشا آدمية يسفكون الدماء بغير مبرر ويهاجمون المنزل الأبرياء لغير ما سبب . وليس هذا بجديد عليهم فتاريخهم الطويل يشهد بأنهم أمة من السفاحين واللصوص . وإني أحدثك أيها الأخ الكريم اليوم عن فظائع الانجليز فى مصر قديما وحديثا

من ٢٩ نوفمبر — ٦ ديسمبر ١٩٥١ :

استيقظ سكان بور سعيد فى الساعة السادسة صباحا من يوم ٢٩ نوفمبر ١٩٥١ على أزيز الرصاص يتجاوب فى أنحاء مدينتهم فقد انطلقت سيارتان بريطانيتان خرجتا من باب الجمرك دراحتا تطلقان النار على كل من تصادفه فى الطريق . ومرت السيارتان بمبنى قسم أول وأخذ جنودها يطلقون الرصاص على القسم وجنود البوليس واستشهد جنديان ومات بعض المدنيين . وكان طبيعيا أن يرد البوليس المصرى العدوان بمثله . حدث هذا فى الوقت الذى كان يسعى فيه المسئولون المصريون والانجليز فى الاسماعيلية وبور سعيد والسويس إلى العمل على وقف حوادث العدوان المتبادل بين المصريين والانجليز ، والذى ذكر فيه أن الجنرال أرسكين قائد القوات البريطانية فى منطقة القنال قد أصدر أوامره باعتبار « بور سعيد والاسماعيلية والسويس » من المناطق المحرمة على الجنود البريطانيين

وقد اتفق المسئولون المصريون والانجليز فى هذا التاريخ على جلاء الجنود البريطانيين عن المدن الثلاث وترك شئون الأمن فيها لرجال البوليس المصرى فهدأت الحالة نوعا فى الاسماعيلية . ولكن متى كان للانجليز وعد ؟ لقد حنثوا بوعدهم فى نفس اليوم وبلغ بهم التجرد من الإنسانية أن انتهكوا حرمة الموتى وعبثوا بجثة ميت كانت منقولة من القاهرة إلى السويس وراحت قواتهم تجوب السويس بصورة استفزازية

وفى يوم الاثنين ٤ ديسمبر ١٩٥١ روعت السويس بحرب إجرامية بشعة شنها عليها الانجليز السفاكون استشهد فيها عشرون من المواطنين الأبرياء وبلغ عدد جرحاها ثمانية وستين جريحا ، وقضت السويس يومها من الحادية عشرة صباحا إلى الخامسة مساء وكأنها ميدان حرب لا تسمع فيه إلا طلقات المدافع والبنادق وأزيز الطائرات !

وفى يوم الثلاثاء ٤ ديسمبر أصبحت السويس المجاهدة وفى أرجائها صمت رهيب يتوج جلال حدادها على شهدائها الأبرار ، بتشييع جنازات الشهداء فى أربعة مواكب وطنية رائعة سارت فيها جميع طبقات الشعب ومختلف الهيئات وقد قدر عدد المشيعين بنحو ١٥ ألفا

ولكن الانجليز ارتكبوا أشنع العدوان فى هذا اليوم أيضا ، فلم يكفهم ما أراقوا من دماء فى اليوم السابق بل زادوا إثما وعدوانهم وحشية وفظاعة : فقد خرج الأهلون يشيعون جنازة أحد الشهداء قبل نقلها إلى الزقازيق وكانت بعض الطائرات الاستكشافية البريطانية تحلق فى السماء فأبلغت القيادة البريطانية الأمر على أنه زحف شعبى على المعسكرات فخرجت قوة من ثلاث دبابات وأربع مصفحات وبضع سيارات مسلحة أخرى وأخذ جنودها يطلقون النار على المشيعين والأهلين ورجال البوليس والقرى القريبة . وسقط فى هذه الجزرة ١٤ شهيدا وجرح ثلاثون . وقد ثبت أن الانجليز يستخدمون رصاصا من طراز « الدمدم » الشديد الفتك

وفى يوم الأربعاء شيعت السويس شهداء الجزرة الثانية واشتركت جميع هيئات الشعب فى الجنازة وكان يتقدمها محافظ

المدينة

وقد رفضت السلطات البريطانية الترخيص بنقل جثث الشهداء من غير أبناء السويس إلى بلادهم

وبرغم هذا لم يكف المعتدون عن عدوانهم فأطلقوا فى الجو أمرابا من الطائرات الاستكشافية والنفاثة ذات الأزيز المفزع وسيروا قافلة كبيرة من الدبابات والمدرعات واللوريات لمحاصرة المدينة

وقد دفع جمود الحكومة المصرية إزاء هذه الحوادث المحزنة الطلاب إلى القيام بمظاهرات فى القاهرة والاسكندرية والجيزة احتجاجا على هذا العدوان الغاشم . وقد قررت الوزارة تعطيل الدراسة بتلك المدارس . ونحن نحب أن يخلد الطلاب إلى الهدوء حتى تتمكن الحكومة من مواجهة الموقف ولكنا نقول لرجال الحكومة : تحركوا وإلا فسينفجر غضب الشعب . إن المصريين لا يطيقون صبرا أن يروا دماء مواطنيهم تسفك دون أن يحركوا ساكنا

ويعزينا بعض العزاء أن أبطالنا من المقيمين بمدن القنال والفدائيين قد أخذوا بثأر قتلانا فقتلوا من الأعداء ٤٢ اثنين وأربعين قتيلا وجرحوا ٦٧ ، وأن شهداءنا فى الجنة وقتلاهم فى النار

أيها الانجليز :

أعلموا أن مصر أقوى منكم وأن قواتكم مهما بلغت عددا ومهما جلبتم لها من عدة وعتاد أن تقهر مصر لأن مصر مؤمنة بحقها فى الحياة الكريمة الحرة ، ولن تخضع لقوتكم وجبروتكم ومهما بغيتم فمصر صامدة وهى منتصرة بإذن الله

فظائع ١٩١٩ :

فى ٨ مارس ١٩١٩ بدأت ثورة مصر باعتقال زعمائها ونفيهم خارجها فهبت مصر من أقصاها إلى أقصاها تطالب بحريتها واستقلالها وعودة زعمائها ، وقامت المظاهرات فى كل قرية ومدينة ثم خرب الشعب طرق المواصلات فقطع خطوط السكك الحديدية وأسلاك البرق والتليفون

ومنذ البداية لجأ الانجليز إلى القوة الغاشمة وإلى سفك دم الأبرياء المطالبين بحريتهم

وفى ٢١ مارس ١٩١٩ عين المارشال اللنبى قائد عام الجيوش البريطانية فى مصر إذ ذاك مندوبا ساميا فوق العادة ومنح السلطة العليا فى جميع الأمور المدنية والعسكرية ، وفى اتخاذ ما يراه من الاجراءات لإعادة النظام والأمن إلى البلاد مع مع تثبيت الحماية

ولما وصل اللنبى إلى القاهرة جمع الأعيان والوزراء وأوضح لهم مهمته وهى تنحصر على حد قوله فى وضع نهاية للاضطرابات القائمة وإزالة أسباب الشكوى وطالبهم بمساعدته على أداء مهمته

وطبقا لهذه الخطة أذاع العلماء والوزراء والأعيان نداء إلى الأمة المصرية فى ٢٤ مارس دعوا فيه الشعب إلى التزام الهدوء والإخلاد إلى السكينة ، ولكن المصريين لم يخدعهم ما قاله اللنبى ولم يؤثر فيهم النداء واستمروا فى كفاحهم

وحدث أن ألقى اللورد كرزون وزير خارجية بريطانيا إذ ذاك أجوبة عن أسئلة وجهت إليه فى مجلس العموم بشأن الحالة فى مصر فقال إن الحالة أقل خطورة من ذى قبل ، وأطرى موظفى الحكومة المصرية ورجال البوليس والجيش لإخلادهم إلى السكينة وحسن سلوكهم . واستنتج من سلوكهم أن صفوة المتعلمين والعقلاء فى مصر ليسوا فى صف الحركة الوطنية

وإزاء هذا التصريح أحرج الموظفون واضطروا وقد طعنوا فى وطنيتهم إلى تقديم احتجاج على تصريحات كرزون وقرروا الإضراب عن عملهم ثلاثة أيام وقدموا عرائض الاحتجاج إلى السلطان وإلى معتمدى الدول الأجنبية ونفذوا قرارهم

وقد ظلت الاضطرابات قائمة ، وحاولت السلطة العسكرية إصلاح الخطوط الحديدية . ولما أصلح الخط الحديدى الرئيسى بين

القاهرة والاسكندرية وقنال السويس حرم السفر إلا بترخيص من السلطة العسكرية

وقد نزل الجنود البريطانيون فى مختلف أنحاء القطر سواء لإصلاح الخطوط الحديدية، أو للقضاء على الاضطرابات، أو للمحافظة على النظام، فارتكبوا فظائع تقشعر منها الأبدان وتنبو عنها النفوس

العزيزية والبدرشين :

قريتان من قرى مديرية الجيزة كانتا تنعمان بالراحة والسكون. وفى الهزيع الأخير من ليل ٢٥ مارس أو حوالى الساعة الرابعة من صباح ذلك اليوم انقض نحو مائتى جندى انجليزى على القريتين وأحاطوا بهما وقصدت شرزمتان صغيرتان منهم منزلى كل من عمدتى القريتين شاهرين أسلحتهم وطلبوا من العمدتين تسليم ما لديهما من سلاح ، فلم أحدهما مدسا كان عنده، وأما الثانى فلم يكن لديه سلاح . ومع هذا انقض العساكر داخل المنزلين وافتحموا غرف النساء غير مبالين بما فى هذا العمل من خروج على الآداب والأخلاق، واضطر النساء إلى الاختفاء تحت الأسرة . ولم يقنع القراصنة الاستيلاء على ماوجد من مال وحلى، بل إنهم زادوا فجذبوا النساء من شعورهن وانتزعوا حليهن. وبلغت بهم القسوة أن أحدهم مزق أذن سيدة وهو يسلب قرطها

وبعد تفتيش دارى العمدتين انتقل الجنود إلى دور مشايخ البلدتين وقاموا بالتفتيش وبالسلب والنهب المتعادين ، ثم أعلن الضباط بعد ذلك أنهم سيضرمون النار فى البلدتين « وأنه مسموح لكل امرئ أن يأخذ ما فى داره من مال وحلى قبل مغادرته » وبعد قليل أشعلوا النار فى القريتين وساعد على اشتعال النار ما كان على سطوح المنازل من قش وحطب ، وخرج الأهالى المروعون من قريتهم الآمنة لتتلقاهم قوات القراصنة « الأشراف » ولتسلبهم ما حملوا من مال وحلى . ولم يأخذهم حياء فى تفتيش ملابس النساء وأجسامهن !

وكان نصيب من حاول إخماد الحريق أن يصاب برصاصة تردبه قتيلا ، وقد احترقت المواشى حية فى مرابطها

وعند الصباح انصرف الجند عن القريتين وقد أصبحتا قاعا صفصفا، وقبض على العمدتين وسيقا إلى الحوامدية؛ وكانت التهمة التى وجهت إلى العمدتين وقريتيهما الاعتداء على أحد الضباط البريطانيين وإتلاف محطتى الحوامدية والبدرشين . ورغم براءة العمدتين والقريتين فقد عوقبت القريتان بتخريبهما وحوكم العمدتان

وقد أحرق الجنود فى نفس اليوم وبنفس الطريقة قرية الشبانات مركز الرقازيق بعد نهبها

ونزلة الشوبك :

فى ٣٠ مارس ١٩١٩ أرسل مركز العياط إشارة إلى عمدة نزلة الشوبك بإحضار العمال اللازمين لإصلاح الخط الحديدى. وفى الساعة الرابعة بعد الظهر وصل قطار حربى ووقف قرب القرية المذكورة ونزل منه الجنود وأرادوا دخول القرية فنصحهم العمدة بالعودة وأخبرهم أنه جلب العمال اللازمين ولكنهم لم يستمعوا لنصحه ودخلوا القرية وأخذوا ينهبون ما يصل إلى أيديهم من مال وذهب بل وطير ودواجن ولم يتعرض لهم أحد

ورأوا إحدى نساء القرية فأسرعوا إليها وراودوها عن نفسها ، فاستغاثت بزوجها الذى أسرع إلى نجدتها، ونزلت هراوته على رأس الجندى الذى كان ممسكا بزوجته فصرعه؛ ولكن رصاصة جندى آخر أردته قتيلا . وقامت معركة بين قوم عزل يدافعون عن أعراضهم وبين قوم نسوا كافة الفضائل وتجردوا من صفات الإنسانية . انطلق الجند يهاجمون القرية ويقتلون من يصادفهم بلا تمييز وينهبون ما يجدون ثم يشعلون النار فى المنازل

وكان القطار الحربى بعيدا عن القرية فرجع القهقرى حتى حاذاها وصب عليها وابلا من رصاص مدافعه الرشاشة ، واستمر إطلاق النيران طول الليل ، واختبأ العمدة فى داره ولكن الإنجليز أخرجوه فى صباح اليوم التالى ونهبوا داره وأحرقوها